(٨٧ . ٨٨)

القَابِضُ البَاسِطُ ﷻ

❐ رسالة قبل البدء ..

إلى من سلك كل الطرق؛ فرآها قد سدت، وطرق الأبواب؛ فوجدها قد غلقت..

وإلى من تلمس جوانب نفسه وخبايا سريرته؛ فضاقت عليه الأرض بما رحبت..

وإلى من أحس بمرارة الذل وقيود العجز تطؤه وتحطم كيانه..

وإلى من جفاه الإخوان، وأعرض عنه الخلان؛ فشمت العدو وضعفت الثقة..

وإلى من داهمته المصائب، ونازلته الخطوب، وحفت به المكاره، وأبطأ نحوه الفرج..

وإلى من قسا قلبه، ويئست روحه، ومل من الحياة..

وإلى من ألم به المرض أو أرهقه الدين، أو حل به الفقر أو تعثرت به الحاجة...

أقول له: لا تحزن! فالله هو القابض والباسط ﷻ؛ يكفيك كل همك، ويحفظك في الأزمات، ويرعاك في الملمات، ويمنحك العز بلا عشيرة والغنى بلا مال، ويزيدك إذا شكرته، ويذكرك إذا ذكرته، ويعطيك إذا سألته.

فأقبل عليه، وتقرب إليه بمعرفة اسميه: (القابض الباسط)، بهذين الاسمين المقرونين؛ فإنهما من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنى عليه ﷻ بواحد منهما دونما الآخر.

وحتى تطمئن نفسك، وينشرح صدرك؛ قل كما كان حبيبك ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ! لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ.

اللَّهُمَّ! لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ.

اللَّهُمَّ! ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ»

[حديث صحيح. رواه البخاري في «الأدب المفرد»].

❐ في ظلال اسميه: القابض والباسط:

فربنا ﷻ الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده؛ حتى لا تبقى فاقة، ويقبضه عمن يشاء؛ حتى لا تبقى طاقة؛ بكمال القدرة والعدل؛ على حسب ما تقتضيه حكمته، وما يليق بأحوال عباده، وإذا زاده ﷻ لم يزده سرفًا ولا خرقًا، وإذا نقصه لم ينقصه عدمًا ولا بخلاً؛ فالله ﷻ قد قال: ﴿ ۞ وَلَوْ

بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧].

وفي الحديث: لما غلت الأسعار في عهد رسول الله ﷺ؛ طلب الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ أن يحدد الأسعار؛ فقالوا: يا رسول الله! غلا السعر، فسعر لنا؟ فقال: «إِنَّ اللهَ هُوَ: المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ»[حديث صحيح. رواه ابن ماجه].

وربنا ﷻ يقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء، يقبض الصدقات فيربيها، ويبسط النعم ويهيئها.

وربنا ﷻ يقبض الأرواح عن الأجساد عند الممات، ويبسط الأرواح فيها عند الحياة.

وربنا ﷻ يقبض القلوب؛ فيضيقها حتى تصير حرجًا كأنما تصعد في السماء، ويبسطها بما يفيض عليها من معاني بره ولطفه وجماله؛ فتبقى منشرحةً، فالله ﷻ قال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[الأنعام:١٢٥].

وربنا ﷻ يقبض ويبسط بيديه الكريمتين -على الحقيقة وعلى الكيفية التي تليق بجلاله وكماله- لمن شاء من الخليقة، فمن ذلك:

الأرض والسماوات العلى.

فالله ﷻ قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾[الزمر:٦٧]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «يَأْخُذُ اللهُ ﷻ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ؛ فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ -وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا- أَنَا الْمَلِكُ»[أخرجه مسلم].

والله ﷻ ربنا بسط يده بالتوبة لمن أساء، فصح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[أخرجه مسلم].

وهو ﷻ الذي يملي للعصاة؛ فيجعلهم بين الخوف والرجاء.

وربنا يبسط يديه لمن سأله ودعاه في كل ليلة، صح عنه ﷺ أنه قال: «...ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ ﷻ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ، وَلاَ ظَلُومٍ؟»[أخرجه مسلم].

وربنا ﷻ يبسط لمن يشاء في العلم والخلقة، قال ﷻ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾[البقرة:٢٤٧].

وربنا يقبض بيده الكريمة؛ فيعتق أقوامًا من النار لم يعملوا خيرًا قط؛ كما جاء في الحديث الطويل: «فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»[أخرجه مسلم].

وربنا يقبض ويبسط الظلال والأنوار وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار.

وهو ﷻ يقبض بالتحريم، ويبسط بالإباحة.

وربنا ﷻ يقبض قلوب العباد ويبسطها ، والمؤمن يعيش بين الرجاء والخوف.

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ

هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

❐ **الميزان:**

فالعبد حين يسير إلى ربه؛ متقدمًا بالطاعة، متقلبًا بين فرض ونفل، مستزيدًا منهما، قد تعلق قلبه بربه؛ فتراه منشرح الصدر مسرورًا، فالله قد بسط له هذه الحالة، فإذا جاء العبد المؤمن بمعصية؛ فتراه في ضيق وكآبة.

وهذا الضيق هو: القبض منه ﷻ، وهي محنة عاجلة موصلة إلى جوده، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[التوبة:١١٨].

فالانشراح والإقبال على الله هو: البسط، وهو من الباسط ﷻ.

والضيق والرجوع عن الطاعة أو عدم التلذذ بالطاعة هو: القبض، وهو من القابض ﷻ، فربما قبضته الذنوب ظاهرةً أو خفيةً كأمراض القلوب.

قال ﷺ: «إِذَا أذنَبَ العَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنَّ تابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ عَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ؛ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللهُ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾[المطففين:١٤]». [رواه ابن حبان. وصححه شعيب الأرناؤوط].

فالمؤمن حاله بين قبضٍ وبسطٍ؛ لذا يسأل الله دائمًا الثبات وحسن الخاتمة، وكان من دعاء النبي ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[حديث صحيح. رواه الترمذي] فهذا حال المؤمن مع ربه، فكيف حال من أصر على المعاصي؟!

أعظم البسط:

لذلك قال العلماء: إن أعظم البسط: بسط الرحمة على القلوب؛ حتى تستضيء، وتخرج من وضر الذنوب، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر:٢٢]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥].

وضده: المذكور في قوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥].

ولما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾

لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ [سبأ:٣٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠]؛ أخبر: أن القبض والبسط كله بيده ﷻ؛ بتصريفه وتسديده، يبسط لمن يشاء في ماله أو عافيته أو عمره أو علمه ويقبض، وهو الحكيم الخبير، وما تراه من فتح على أعداء الله فليس بسطًا وإنما هو: مكر بهم واستدراج لهم.

فالمؤمن قد يمنع من شيء وهو له عطاء، وقد يعطى شيئًا وهو له بلاء، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة:٢١٦].

❑ ذكرى..

وإن كان الله ﷻ هو: القابض الباسط الخافض الرافع -قدرًا وقضاءً-؛ فلا يمنع أن تكون هذه الأمور بأسباب من العباد؛ متى ما قاموا بها حصلت لهم، وقد جمع بين هذين الأمرين بقوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [أخرجه البخاري ومسلم].

فبسط الرزق بيد الله، وصلة الرحم سبب يبذله العبد.

❑ همسة..

ثم إن من امتن الله عليه ببسط في مال أو علم أو جسم أو جاه؛ فليتقرب إلى الله بالتفضل على عباد الله؛ كما تفضل الله عليه وأحسن به،

فهذا من شكر المنعم، وبه تدوم النعم، فمن لم يجد فليخالق الناس بخلق حسن: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٤].

اللهم يا قابض.. يا باسط! ابسط لنا من رحماتك، واصرف عنا شرار خلقك.

اللهم! ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك.